ملامح العرفنية وعلاقتها بالتداولية الغرايسية

أ. فليسي آمين
جامعة مولود معمري تيزي-وزو

تمهيد: لا يمكن الحديث عن المشروع التداولي الغرايسي وتشرباته الكثيرة في الاتجاهات التداولية المعاصرة (أوستين/ سيرل/ فان دايك/ غوفمان) دون الحديث عن إطار كلي ونظري يحكمه ويؤطر تحركاته النظرية والإجرائية كما يحرك نظريات لسانية أخرى، وغير لسانية، على مستوى متذبذب في جميع مستويات الفهم والتأويل والإجراء؛ فهذا الإطار يشكل رافدا أساسيا يكرس لنوعية التأويل داخل مختلف المجالات الإنسانية البحثية، ويسهر على تحديد مستويات التأويل ونوعيته مقارنة بدرجات الفهم والإدراك العقلي. وبالتالي، سيكون بحثنا محاولة للعودة إلى النتائج والمحصلات التي حققتها التداولية عموما، والغرايسية، على وجه الخصوص، في مجال فلسفة التواصل الإنساني على جميع الأصعدة والمستويات من اجل إيجاد التأثيرات العرفنية على المشروع الغرايسي بطريقة منهجية دقيقة دون إطالة في الكلام عن النظريات التداولية الأخرى. وكذلك، بالنظر إلى القيمة التي بدأت تكتسبها العلوم العرفنية، نتيجة المحصلات والنتائج التي جاءت بها ضمن تجاربها التي يشتغل فيها باحثون وعلماء متخصصون من كثير من المجالات العلمية والفكرية والمعرفية. ولعل أهم تحول ومنعرج حاسم في الدراسات التداولية كان ذلك النزوع نحو الأسس العقلية والاستدلالية (المنطق الأرسطي) عوض الدراسات التي كانت تكتسي بنزعات تجريبية محضة، كالنظريات التي كانت قائمة على الرؤية البافلوفية، والتي كرست لها النظرية التوزيعية بزعامة بلومفيلد وواطسن وهاريس في عهد اول من أبحاثه.

لعل هذا التحول نحو النزعة العقلية في دراسة اللغة واللسان بدأ يتطور مع فكر اللساني (أفرام نعوم تشومسكي) (Avram Noam Chomsky) الذي بدأ يكرس لأنظمة العقل ويبتعد عن النزعة البلومفيلدية التي ظل إلى عهد قريب ينتمي إليها. وجعل النظام العقلي الأساس الذي تسير وفقه الأنظمة البحثية وتنصاع إلى الرؤية المعيار الذي هو القدرة العقلية على الاستدلال الصحيح، حيث اقترح تشومسكي مقاربة توليدية للمسائل اللغوية كما تقدم جورج ميلر بنتائج تجاربه (غير السلوكية) حول الذاكرة والتي تبين أن الذاكرة القصيرة المدى (ذاكرة العمل التي نستعملها عندما نفكر في المهام البسيطة) لا يمكن أن تشتمل على أكثر من خمسة عناصر (مع إضافة عنصرين أو إنقاصهما).

لقد عرضت مداخلة نيوال Newell وسيمون Simon النتائج الأولى للذكاء الاصطناعي، وقطعت مقاربة تشومسكي Chomsky العلاقة بالبنيوية (الأوروبية أو الأميريكية) في اللسانيات واقترحت مقاربة رياضية للغة تُمكن من تصور معالجة آلية تفضي إثر ذلك إلى نظرية نفسانية ومعرفية، فيما بينت محاضرو ميلر خصوبة المقاربات التجريبية غير السلوكية في مجال قضايا الاستدلال والقدرات الذهنية واستخداماتها.

كما تجدر الإشارة إلى أن ظهور العلوم المعرفية (علم النفس واللسانيات وفلسفة العقل والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب) جاء رداً على التيار السلوكي، حيث يمكن القول أن العلوم المعرفية حددت طريقة اشتغال العقل/الدماغ وبيان كيف أن العقل – البشري خصوصا– يكتسب معارف ويطورها ويستعملها اعتمادا على الحالة الذهنية. ومن هنا يمكن إرجاع هذا البرنامج المعرفي إلى الخمسينيات من القرن الماضي، وبالتحديد إلى سنة 1956 أي مع ظهور أولى مقالات تشومسكي Chomsky، وميلرMiller ونيوال Newell، وسيمون Simon، ومينسكي Minsky، وماك كولوك McCulloch

وهذا في الحقيقة، يأتي، كمحاولة لربط أطروحاتهما بالتداولية المعرفية؛ التي اشُتهر فيها كل من دان سبيربر(Dan Sperber)، وديردر ولسن(Deirdre Wilson) .

1- الفعل اللغوي والحالات الذهنية: حسب آن ربول وجاك موشلار فإن نظرية الأعمال اللغوية زامنت نشأة العلوم المعرفية، ورغم ذلك، فإن التداولية المنبثقة من الأفعال اللغوية لا تبدو لنا إطلاقا نظرية معرفية، فهي في بعض الوجوه أقرب إلى السلوكية منها من العلوم المعرفية. وما يفصلها عن السلوكية أنها تُقر بوجود الحالات الذهنية، إذ ليست المقاصد المعبر عنها في نظرية الأفعال الكلامية سوى الحالات الذهنية. ومن هنا يتجلى لنا تلك العلاقة الموجودة بين الحالات الذهنية واللغة بحد ذاتها وهذا ما أدى بسيرل إلى القول بمبدأ الإبانة والذي يعني أن كل حالة ذهنية (فكرة أو اعتقاد أو رغبة...) تقبل الإبانة عنها بصراحة وحرفية بواسطة جملة، حيث يمكن القول أنه لا توجد حالة ذهنية لا يمكن أن تكون موضوع تعبير صريح، وبالتالي يمكن الحديث عن شفافية الحالات الذهنية أي يمكن ملاحظة السلوك اللغوي للأفراد، وهذا ما يجعلنا أقرب إلى السلوكية منه من العلوم المعرفية.

وبالتالي يمكن القول أن هذا التصور للعلاقات الموجودة بين الأعمال اللغوية والحالات الذهنية هو الذي جعل التداولية تتطور بمعزل عن العلوم المعرفية حيث أن هذه الأخيرة ستساعد كثيرا على إتمام النقائص الموجودة في المقاربات اللسانية[1].

2- علاقة السياق بالعمليات الذهنية:

أ- **تأويل الخطاب وبناء الافترضات المسبقة:** إن القضية المطروحة هو كيف بإمكان المخاطِب أن يبني افتراضات مسبقة حول المقصدية الإجمالية للمخاطَب وهل تأويل الأقوال هو تأويل للخطاب أو بمعنى آخر، هل تأويل الخطاب هو مجموع تأويلات الأقوال التي تكونه؟ وعلى أي مستوى تحدث هذه التأويلات؟ يقول جاك موشلار وآن روبول أن تأويل الخطاب مثله مثل تأويل الملفوظ (القول) يقوم على آليات مستقاة من نظرية الملائمة، ويحدث هذا على مستوى النظام

المركزي للذهن وذلك عن طريق آلية الاستدلال الاستنباطي وهذا على أن تكون الأولوية للملفوظ (القول) مع الأخذ بعين الاعتبار للافتراضات السياقية المأخوذة من عدة اتجاهات أي المحيطة بتلك الأقوال.

إذا فتأويل الأقوال أو الملفوظات مع مراعاة السياق ومراعاة المعلومات الموسوعية يؤدي إلى تأويل الخطابات، وبالتالي يمكن بناء افتراض مسبق حول المقصدية الإخبارية الإجمالية.[2] إنه وكما سبق التطرق إليه فيما سبق حيث تمت الإشارة إلى أن صاحب خطاب ما (l'auteur) يمكن أن يستغل (يستثمر) الافتراضات المسبقة للقارئ بطريقتين أو بكيفيتين:

الأولى: أن الكتاب يمكن أن يؤكد هذه الافتراضات من خلال بقية ما يلي (تتمة) من خطابه. وعلى سبيل المثال قدم مؤلفي هذا الكتاب مثال للكاتب **ستاندال:** وهو عبارة عن قصة شيقة ويعطي فيها مثل جيد عن الطريقة التي يستغل بها كاتب ما بنجاح العمليات التأويلية البشرية ونزعتها أو جنوح هذه العمليات التأويلية للقارئ إلى الاستباق يقول **ستاندال:** "هل أتجرأ على رواية هذه الحادثة التي أسر إليَّ بها بعضهم ونحن نتفيأ ظل حائط مقبرة في حقل برسيم ذي خضرة ساحرة؟ لم لا أرويها؟ لقد جلبت لنفسي العار لفضحي الحقائق التي تصدم الذوق العام سنة 1838:

لم يكن القس طاعنا في السن البتة وكانت الخادمة جميلة وكثر القيل والقال ولكن هذا لم يمنع أحد شبان قرية مجاورة من مغازلة الخادمة.

وفي يوم من الأيام أخفى ذلك الشاب ملاقط المطبخ الصغيرة في سرير الخادمة وعندما عاد بعد ثمانية أيام سألته الخادمة: "هيا، قل لي أين أخفيت الملاقط الصغيرة؟ لقد بحت عنها منذ رحيلك في كل مكان. كف عن هذا المزاح الثقيل .....".[3] **قبلها عشيقها وقد اغرورقت عيناه بالدموع ورحل.**

إن القارئ ومن الوهلة الأولى سيجنح إلى تأويل ساذج وهو أن **ستاندال** سيعلل سود سمعته ويحاول أن يبرئ نفسه، أو يمكن عرض افتراض آخر وهو أن **ستاندال** سيحكي قصة صادمة، ولكن وبمواصلة القراءة فإن القارئ سيتأكد بأن

ستاندال سيروي بأن القس ينام مع الخادمة وبأن الشاب العاشق هو الذي سيكشف الحادثة، وبالتالي فعملية إخفاء الشاب للملاقط (ملاقط المطبخ) سيتيح للقارئ لوضع افتراض أو فرضية لما سيكون عليه باقي النص، وهي: لو أن الخادمة نامت في سريرها لعثرت على الملاقط، وإلا فهي تنام في غير سريرها وهو سرير القس.

بالتالي تتأكد افتراضات القارئ لهذه القصة في آخر النص وهو أن الخادمة تخون حبيبها مع القس.

الطريقة الثانية: أن الكاتب يمكن أن يلغي أو يبطل افتراضات مسبقة من خلال بقية ما يلي من خطابه:

حيث يعرض مؤلفي الكتاب نصا **لكالفينو** وهو نص من كتابه Les villes invisibles وهذا النص منقسم إلى جزئين الجزء الأول يصف فيه **كالفينو Calvino** مدينة **Sophronia** وهي متكونة من قسمين، القسم الأول من المدينة يوجد فيه مكان للتنزه ويحتوي على كل مستلزمات وضروريات التنزه الموجودة مثلا في السرك، والقسم الآخر من المدينة هو عبارة عن عمارات من الاسمنت وجدران من الرخام ومدرسة ومستشفى....أي هي مدينة مجهزة بكل لوازم الراحة.

إن القارئ وللوهلة الأولى يفترض مسبقا أن **كالفيو Calvino** يريد أن يصف مدينة **Sophronia** في خطابه هذا ولكن وبمواصلة قراءة الجزء الثاني من النص (الخطاب) حيث يقول الكاتب **كالفيو Calvino:**"...إنه وفي كل سنة، يشرع العمال في إزالة المداخل المزخرفة بالرخام وإسقاط أسوار الحجارة وأعمدة الاسمنت وتحميلها على العربات والتنقل من مكان إلى آخر..."، إلى هنا القارئ سيستبق الأحداث وسيتصور في ذهنه افتراضا مسبقا يقول بموجبه أن الكاتب أراد أن يصف لنا كيفية إزالة **عيد سوقي.**[4]

ويواصل **كالفينو Calvino:** "... ويسرع العمال كذلك في إزالة المستشفيات ومصفاة البترول والوزارة، وتواصل هذه المدينة المفككة والمعبأة فوق العربات مسيرتها وكم يوم وكم من شهر سننتظر لتعود هذه القافلة لكي تنطلق حياة أخرى".

إذا يقول ج. موشلار وآن ربول أنه وبمواصلة القراءة، سيدحض القارئ الفرضية السابقة ويصل إلى حقيقة مفادها أن الكاتب أراد العكس مما كان قد استبقه القارئ بافتراضاته المسبقة وهي أن الكاتب أراد أن يبطل أو أن يلغي افتراضات القارئ، وبالتالي فالكاتب **كالفينو Calvino** أراد أن يصف مدينة حيث يحصل كل شيء فيها عكس الحقيقة أو عكس الواقع، حيث أن العمارات والمنشآت البترولية والوزارة والمباني تُهدم وتُزال وتُنقل إلى مكان آخر ويتم تنصيبها من جديد أي *المدينة المثالية الموجودة في الخيال.*

ب- افتراضات مسبقة داخل الملفوظات: إن هذا العنصر يقول **جاك موشلار وآن ربول** أن الافتراضات المسبقة تلعب دورا في تأويل الملفوظات وإزالة الغموض، كما هناك جملا غامضة من حيث التركيب والدلالة، ويقترح المؤلفان بعض الأمثلة،

1- la petite brise la glace.
2- le vieux singe le masque.[5]

1- الجملة الأولى:

تقبل تأويلين:

أ- نسمة الهواء البحرية جمدتها.

ب- الصغيرة كسرت المرآة.

La glace→C.O.D / brise →verbe / la petite → sujet →

أو

La glace→ verbe / la petite brise→sujet

2- الجملة الثانية:

Le masque → C.O.D / singe → verbe le vieux →sujet

أو

Le masque →verbe / le vieux singe → sujet

إذا ما يمكن استخلاصه أن هذه التأويلات الأربعة للجملتين السابقتين 1 و2، هي تأويلات خارج السياق Hors context، وسيزول الغموض طبعا إذا وضعت هذه

الجمل داخل السياق (سياق معين). وبالتالي ففي الجملة الأولى La petite brise la glace، فيمكن لكاتب ما أن يتحدث عن طفلة صغيرة أمسكت في يدها آلة حادة وقامت بتكسير مرآة أو قطعة زجاج. ويمكن أن يتحدث الكاتب أو يعني أنه رأى طفلة صغيرة، وهو على شاطئ البحر وهي ترتعد من شدة البرد تحت ملابسها الممزقة. وفي الجملة الثانية Le vieux singe le masque، فيمكن لكاتب ما أن يتحدث عن شيخ داخل مقهى وهو يشاهد شخصا مقنعا يرقص حول الطاولات فقام الشيخ بتقليد المقنع. أو يمكنه أن يتحدث عن قرد في حديقة الحيوانات وهو يحمي صغيره فيتساءل الناس أين القرد الصغير؟ فتكون الإجابة: **القرد العجوز يخفيه.**

وفي الأخير، فالكاتبان **آن ربول وجاك موشلار**، وبعرضهما لهذين العنصرين، أرادا أن يقدما لنا طريقة معينة لكيفية الوصول إلى معنى موحد وجامع سواء داخل الملفوظات أو داخل الخطاب ككل وهذا طبعا بمراعاة السياق الخارجي بمفهومه الواسع.

3- خصوصيات مصطلح العرفنية: قبل أن نشرع في الحديث عن العلاقة الكامنة بين مجالي الدراسات العرفنية والأبحاث التداولية التي كان يشتغل وفقها غرايس ويحاول أن يبني نظرية متماسكة المبادئ والمفاهيم الكلية. ارتأينا أن نعرج أولا إلى شرح مصطلح العرفنية وعلاقته ببعض المصطلحات القديمة والمعاصرة التي تتشابه معه من حيث الشكل والدلالة ولعل أهم مصطلح هو: الدراسات المعرفية/ الابستيمولوجية.

ينطلق جاك موشلار وآن روبول في كتابهما التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، من تحديد فكرة جوهرية مفادها أن تاريخ ميلاد العلوم المعرفية يتطابق إلى حد معين مع تاريخ ظهور التداولية. إذ ألقى "أوستين" محاضراته سنة (1955)، وفي سنة (1957) صدرت مجموعة من المقالات، شكّلت أساس انطلاقةً العلوم المعرفية، لعلّ أهمها المقالة التي ألقاها ألان نيوال (Allen Newell) وهربرت سيمون (Herbert Simon) حول الإثبات الآلي للبرهنات الرياضية (ضمن حقل الذكاء الاصطناعي)[6]، وقد جرت في لإطار ندوة أقيمت في جامعة مساشوتس للتكنولوجيا. وقد تم الوصول فيها إلى عدّ نتائج مهمة، من بينها[7]:

- اقترح "تشومسكي" مقاربة توليدية، عقلية للمسائل اللغوية، ومن ثم قطع الصلة بالبنيوية السلوكية التوزيعية التي يتبناها بلومفيلد، والتي كانت تجنح إلى الصبغة الآلية في البحث فغيبت قدرة الإنسان العقلية والاستدلالية على فهم اللغة وديناميتها المتسارعة.
- قدم "جورج ميللر" نتائجه وتجاربه حول الذاكرة التي اعتمد فيها على المنهج التجريبي غير السلوكي. (في مجال قضايا الاستدلال، والقدرات الذهنية) بحيث خرج هو الآخر عن العرف التوزيعي الذي كرس له بلومفيلد في طروحاته اللسانية، فاعتمد جورج ميللر على التجريب غير الآلي، وإنما التجريب العقلي.

وقد صدرت هذه النزعة العرفنية حسب ما يقوله مصطفى الحداد: "عن تصور عقلاني يقضي بّأن الإنسان يولد مزودا بجهاز فطري مخصص تخصيصا عاليا يمكنه من اكتساب المعارف. وترى أن المحيط لا يلعب إلا دورا هامشيا في هذا المسلسل الاكتسابي. وتؤمن بإمكان تخصيص محتويات هذا الجهاز الفطري تخصيصا علميا على النحو الذي تخصص به الفزياء بالمعنى العام موضوعاتها[8]. وهذا الجهاز الفطري هو ما يسمى بالذهن الذي يمكننا من أن نرى العالم ونتصرف فيه بطريقة إرادية وجميع الحواس: كالسمع و البصر واللمس، وغيرها من الحواس الأخرى تحدث في الذهن. وقل مثل ذلك في التفكير والتذكّر والتخطيط، فهي كلها تنبع من الذهن؛ كما يشتمل الذهن كذلك على الإحساس بالذات، والإحساس بحرية الإرادة[9]. وكما هي الحال في كل أجزاء الجسم، فقد لحق التطور بالمخ وجعله يتأقلم على بيئات وطرق الحياة المختلفة، إذ تطور المخ الذي يمثل وسيلة الذهن كي يتكيف مع الحياة ويساير مختلف التطورات.

لقد حاول الأزهر الزناد أن يتطرق إلى مصطلح العرفنية مدافعا عنه كونه مفهوما ومصطلحا جاريا في بعض ما كتب ونشر،وما كتبه آخرون، وفي ما يلي بعض الحجج التي قدمها ليدافع عن مصطلحه هذا[10]:

- قد تختلف المقابلات العربيّة للمصطلح الأجنبيّ الواحد باختلاف الأقطار أو المجموعات من الباحثين أو الباحثين فرادى وما إلى ذلك، وهو أمر طبيعيّ إذ من

الواجب أن تكون حركة البحث والتّأليف إطارا لاقتراح ما يراه الفرد صالحا في ضوء معرفته بالعربيّة وبسائر اللّغات وبحال المعرفة دون شكّ.

• خذ مثلا ما اقترحناه في تعويض المصطلحات التّالية (العلوم العرفانيّة علم المعرفة، العلوم المعرفيّة، علوم الإدراك، العلوم الإدراكيّة، إلخ)– وقد راجت في تواريخ ومؤلّفات متنوّعة في أزمنة واحدة أو متعاقبة– بمصطلح (عَرْفَنَة) مقابل (cognition) ، وذلك – دون شكّ– ليس من قبيل "خالف تعرف"، وإنّما هو مؤسّس على رويّة وحجج متنوعة.

• كلمة (عرفان) مشتركة في الاستعمال القديم وفي الاستعمال الحديث، إذ تدلّ على معنى الشّكر ولها جريان واسع في مجال التّعبّد والتّصوّف وفي مجال البحوث الفلسفيّة الماورائيّة (الغنوصيّة)، وكلمة (معرفة) مقابلة لمفهوم (knowledge, connaissance) كما أنّ (إدراك) تقابل مفهوم (perception) ، وجميعها – كما هو معلوم– ذو مرجعيّات نظريّة كلاسيكيّة. وفي هذا يوافقنا كلّ من نعرف من المشتغلين بالفلسفة، على الأقلّ في حدود ما دار فيه النّقاش بيننا في هذا الموضوع.

• العرفنة هي نشاط الذّهن في عموم مظاهره، يشمل التّذكّر والتّعقّل وحلّ المسائل والتّخيّل والحلم والتّخطيط والإحساس والشّعور والتّعلّم والتّبرير والتّكلّم والرّسم والرّقص وجميع ما تتصوّرون من الأنشطة الذّهنيّة الحسّيّة العصبيّة ممّا له صلة بالذّكاء الطّبيعيّ.

• عندما نأخذ الجدول الاشتقاقيّ في الإنجليزيّة الدّائر حول (cognition) – مثلا– تجده منسجما: الفعل هو (to cognize)، واسم الفاعل هو (cognizer) والنّسبة هي(cognitive (system, ability, faculty, etc) أو (metacognitive) وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بالجذع (cogn) .

فلمَ لا تكون مراعاة ذلك في الخطاب العلميّ العربيّ؟

وليس في ذلك تبعيّة ولا تقليد، إنّما هي ضرورة أكاديميّة علميّة.

وهناك حجج أخرى يضيق هذا المجال عن ذكرها، فيكون الحلّ – في ما نرى – أن نحافظ على الحروف الأصول من الثّلاثيّ (ع ر ف) وننشئ جدولا اشتقاقيّا مقبولا في العربيّة قياسا وسماعا منطلقه: عرفن (to cognize) والمضارع منه (يعرفن) (cognizes) والمصدر (عرفنة) (cognition) فهو معرفن (cognizer) وذو ملكة عرفنيّة (cognitive faculty) ويلحق بذلك الميتاعرفنة (metacognition).

وهذا – في ظنّنا– أحسن من أن نقول فكّر يفكّر فهو مفكّر وما إلى ذلك وننتقل إلى عرفان أو معرفة أو إدراك، بما فيها من الاشتراك الّذي أشرنا إليه في عبارة تتعلّق بالعلوم أو باللّسانيّات المهتمّة بما يجري عليه المصطلح الواحد منها.

• يبدو أنّ العرفنيّات عندما وصلتنا فهمَت بتصوّرات أرسطيّة ونفسيّة قديمة، هي عندنا نحن كما هي عند الغرب، دون شكّ، ولم ننتبه (على الأقلّ ممّن سبقونا في الكتابة في هذا المجال) إلى أنّ العرفنيّات خرجت عنها وفي ذلك كانت استعاضتهم بمصطلح (cognition) عن الثالوث المعروف: (knowledge, connaissance, perception) .

ومن النوادر الّتي جعلتني أعدل عن (عرفان) وما إليها أنّ بعض الباحثين في بعض البلدان العربيّة كان يراسلني ويهاتفني ساعيا إلى إنجاز بحث في موضوع يقترحه، وأجد فيه عناية بعلَم من أعلام الصّوفيّة أو بفرقة من فرقها فأجيبه أنّني لست مهتمّا

4– **ملامح العرفنية في مشروع غرايس:** عندما نتحدث عن العرفنية في مشروع غرايس اللساني التداولي يجب علينا أولا أن نحدد المبادئ الأساسية التي تأسس وفقها مشروع غرايس، وهي كالآتي:

أ– **الدلالة غير الطبيعية عند غرايس:** يقسم غرايس دلالة الأفعال الكلامية إلى نوعين، هما: الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية أما آن روبول وجاك

موشلار، فيفضل شرحهما عبر المقارنة بينهما، من خلال أمثلة توضيحية وتفسيرية، هي[11]:

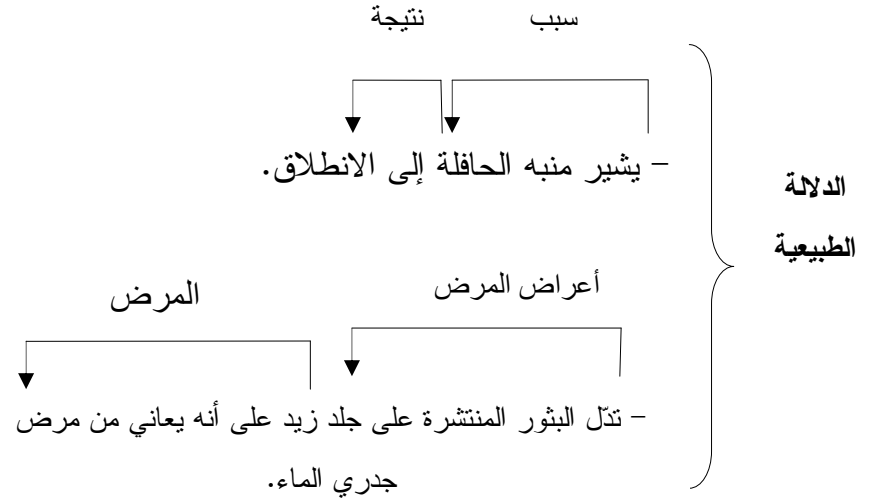

ب– منطق المحادثة عند غرايس:

سجل "غراس" تطورا كبيرا في تحليله لمفهوم الدلالة غير الطبيعية، فقد أدخل مفهومين مهمّين، استفاد كثير من الباحثين منهما أيّما استفادة، وهذان المفهومان هما*:

1– الاستلزام الخطابي. 2– مبدأ التعاون.

أكد، كذلك، على فكرة مهمة حكمت الفكر الإنساني منذ الأزل، بطريقة ضمنية أحيانا وصريحة، أحيانا أخرى، وهي أنّ تأويل جملة ما غالبا ما يتجاوز الدلالة التي نعزوها إليها بالمواضعة. ولهذا السبب يمكن يقول بالتمييز بين الجملة والقول. فالجملة هي سلسلة من الكلمات التي يمكن لزيد أو عمرو التلفظ بها، وهي تابعة لنظام اللسان، أما القول، فهو حاصل التلفظ بجملة وهو يتغيّر بتغيّر الملابسات الخارجية والقائلين. وهذا مثال توضيحي:

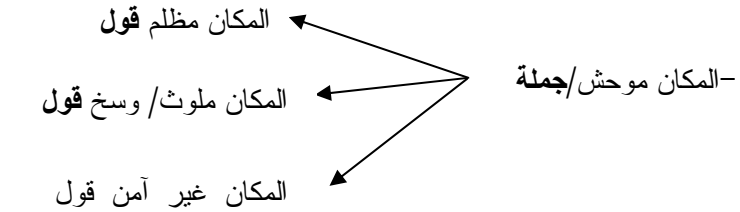

إن مبدأ التعاون يشرحه "غرايس" بأنه عندما يكون المشاركون متوقعين من بعضهم أن يساهم كل واحد منهم في عملية المحادثة بطريقة عقلانية ومتعاونة لتسيير تأويل الأقوال. وهذا المبدأ ينقسم إلى أربع قواعد يجب على المشاركين أن يحترموها ويستغلوها لضمان حسن سير العملية التواصلية وهذه المبادئ كالآتي[12]:

- ✓ **قاعدة الكم:** هي أن يساهم المتكلم بالمعلومات التي هي ضرورية في المقام فلا يزيد عليه ولا ينقص.
- ✓ **قاعدة النوع/ الصدق:** تفرض نزاهة القائل الذي ينبغي ألا يكذب وأن يملك الحجج الداعمة لفكرته.
- ✓ **قاعدة العلاقة المناسبة:** تفرض أن يكون حديثنا داخل الموضوع (ذا علاقة بأقوال القائل السابقة والآخرين).
- ✓ **قاعدة الكيف / الصيغة:** تفرض أن نعبر بوضوح وبلا لُبس قدر الإمكان ونقدم المعلومات بطريقة منطقية.

أما مفهوم الاستلزام الخطابي، فيمكن فهمه من خلال مفهوم الدلالة غير الطبيعية، فهو يفرض علينا عدم تأويل قول ما، بالنظر فقط، إلى الدلالة اللغوية التواضعية، فلا يجب يختزل التأويل فيها. لأن هنالك فرق بين ما قيل "dit" (الدلالة اللغوية التواضعية للجملة)، وما تمّ نقله "transmis" الذي هو في الغالب أكثر مما قيل وما جرى تبليغه. فالدلالة هي **ما قيل** والاستلزام الخطابي **ما تم تبليغه**. هذا التمييز أهمله "سيرل" في مؤلفه الصادر سنة 1972 حين ركّز فقط على الدلالة التواضعية. ومن ثم، يقول "غرايس" أن الطرائق التي نقول بها عن شيء ما ليست واحدة في جميعها وإنما تختلف عن بعضها، وقد حصر جميع تلك الطرائق في اثنتين هما [13]:

- ➢ طريقة تواضعية تستدعي استلزاما تواضعيا.

- طريقة محَادثية (غير تواضعية) تستدعي استلزاما محادثيا.

خاتمة: نقدم في هذه الخاتمة بعض النتائج التي توصل إليها روبول وموشلار في تحليلهما لغرايس من منظور معرفي، كما نعرض نتيجة من نتائج اجتهادنا الخاص في هذا البحث، وهذه النتائج في كليتها هي:

إن العرفنية تتأسس على مبدأين أساسيين هما[14]:

- **الوظيفية:** مفادها أنّه لا يوجد مبدئيا ما يمنع من الحصول من النتائج من خلال الدماغ والآلة (بمعنى الحصول على كيفية اشتغالها). وإذا توصلنا إلى هذا فسيكون حينئذ تكافؤ **وظيفي** بين العقل والآلة.
- **التمثيلية:** تتمثل في مقدرة الدماغ والحاسوب على معالجة التمثُّلات ذات الصورة الرمزية؛ أي تأويل الرموز وفهم دلالاتها يقول موشلار في مقاربة هذين الاساسين مع مشروع غرايس فيما معناه أنه يوجد بعد تمثيلي في نظرية غرايس لأنّ النظام الذي يقترحه يستند إلى معالجة التمثّلات الرمزية (صياغة فرضيات والتثبيت منها) إذ هي قراءة بالمماثلة. لأنّها ليست صورية مجردة. لكنهما ينفيان البعد الوظيفي في قولهما:"على الرغم من أنّها متقدمة – يقصدان مقاربة غرايس– إلا أنّها من العسير إدراجها في حساب معلوماتي. كذلك لا نعلم كيفية إجراء المقدمات، من أين يتم استخلاصها، ومتى يتم إيقاف الاستدلال وكيفية اعتبار التأويل مرضي"[15].

قائمة المصادر والمراجع:

- ✓ **آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط1، بيروت لبنان، 2003.**
- ✓ **أنجوس جيلاتي وأوسكارزاريت، الذهن والمخ، ترجمة: جمال الجزيري مرجعة وإشراف وتقديم، إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة، 2001.**
- ✓ **مصطفى الحداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية بكلية الآداب تطوان تطوان، المغرب 1995**
- ✓ Anne Reboul et J. Moeschler : pragmatique de discours, de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, armand colin, Paris 1998.

✓ الأزهر الزناد، في مصطلح العرفنة ومشتقاتها، من موقع، http://lazharzanned.blogspot.com/2012/04/blog-post_22.html

الهوامش:

1- ينظر: آن ربول وجاك موشلار: التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر:سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر ط1، بيروت لبنان، 2003، ص53 ص54.

2- Voir : Anne Reboul et J. Moeschler : pragmatique de discours, de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours, armand colin, Paris 1998, p163.

3 - Ibid : P 166.

4- Ibid : P 168.

5- Ibid : P 168.

6 – آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ط1، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة بيروت، 1998 ص52.

7 – ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8 – مصطفى الحداد، اللغة والفكر وفلسفة الذهن، منشورات جمعية الأعمال الاجتماعية والثقافية بكلية الآداب تطوان تطوان، المغرب 1995، ص2.

9 – ينظر: أنجوس جيلاتي وأوسكارزاريت، الذهن والمخ، ترجمة: جمال الجزيري مرجعة وإشراف وتقديم، إمام عبد الفتاح إمام، المجلي الأعلى للثقافة، 2001، ص05.

10 – ينظر: الأزهر الزناد، في مصطلح العرفنة ومشتقاتها، من موقع http://lazharzanned.blogspot.com/2012/04/blog-post_22.html

11 – ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر ط1، بيروت لبنان، 2003، ص 53، ص 54.

12 – ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 55.

13 – ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص ص 56،57.

14 – ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص 65.

15 – ينظر: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، ص ص 65، 66.